ثبوت صفة الكلام للّه عز وجل

إعداد

د سعاد بنت محمد السويد

من ٤٤٧ إلى ٤٧٨

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، نستعينه وتستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا أله إلا الله ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد

فإن أفضل ما صرفت فيه الأوقات ، وبذلت فيه الأموال ، وتعبت في طلبه الأجسام: العلم الشرعي تعليما وتعلماً ، وما ذاك إلا لأن الله جل وعلا رفع شأن العلماء ، فقال جل شأنه : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر :٢٨] .

قال ابن كثير : " أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به ، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال ، المنعوت بالأسماء الحسنى ، كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل ، كانت الخشية له أعظم وأكثر. [١]"

لذا كان توحيد الأسماء والصفات من أجل أبواب التوحيد وأشرفها ، وأعظمها قدراً ، لتعلقه بذات الرب سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته .

وهو في الوقت ذاته من أكثر أبواب الاعتقاد التي زلت فيها الأقدام وضلت فيها الإفهام ، وأنقسم فيه الناس إلى أهل تعطيل وتأويل ، وأهل تشبيه .

قال ابن تيميه رحمه الله وأما تعين الفرق الهالكة فأقدم من بلغنا أنه تكلم في تضليلهم يوسف بن أسياط ثم عبدا لله بن المبارك ، وهما إمامان جليلان من أجلاء أئمة المسلمين ، قال : أصول البدع أربعة : الروافض والخوارج والقدرية والمرجئة . فقيل للابن المبارك : والجهمية ؟ فأجاب بأن أولئك ليسوا من أمة محمد . وكان يقول : أنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ، ولا تستطيع أن نحكي كلام الجهمية ، وهذا الذي قاله اتبعه عليه طائفة من العلماء من أصحاب أحمد وغيرهم ، قالوا : إن الجهمية كفار فلا

---

(١) تفسير ابن كثير [٥٥٣/٣] .

يدخلوا في الاثنين والسبعين فرقة ، كما لا يدخل فيهم المنافقون الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام . وهم الزنادقة ، وقال آخرون من أصحاب أحمد وغيرهم : بل الجهمية داخلوا في الاثنين والسبعين فرقة ، وجعلوا أصول البدع خمسة.(١)

وقال أيضاً رحمة الله : " وحقيقة قولهم جحود الصانع ففيه جحود الرب وجحود ما أخبر به عن نفسه على لسان رسله ، .... ولهذا كفروا – السلف – من يقول : إن القرآن مخلوق ، وأن الله لا يرى في الآخرة وأن الله ليس على العرش ، وأن الله ليس له علم ولا قدرة ولا رحمة ولا غضب ، ونحو ذلك من صفاته (٢) ، الاختيارية .(٣)

وأبرز ما قالوا في الكلام أن لا كلام لله على الحقيقة ، فسووه بالأصنام التي لا ترجع لعابديها قولاً ، وأردوا بذلك إبطال الرسالة .

فإن ابن كلاب والأشعري وغيرهما ينفونها ، وعلى ذلك بنو قولهم في مسألة القرآن ، وبسبب ذلك وغيره تكلم الناس فيهم في هذا بما هو معروف في كتب أهل العلم ،

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/٤٩٧) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/٤٨٦ ، ٤٨٧) .

(٣) وقد ذكر لنا شيخ الإسلام خلاصة أقوال الطوائف في هذه المسألة فقال " وأما مسألة قيام الأفعال الاختيارية به : حيث قال : " لم يكن معروف لدى السلف الأوائل – رحمهم الله – تقسيم صفات الله عز وجل إلى أقسام وأنواع، كما هو مستقر عند المتأخرين من أهل السنة والجماعة ، وذلك أنهم رحمهم الله –كانوا يذكرون صفات الله عز وجل على الوجه الوارد في النص الشرعي لأعلى الوجه الذي يذكره المتكلمون في الاعتقاد

إذ أن المستقرئ للنص الشرعي – قراناً وسنة وأثراً وخبراً عن الصحابة أتباعهم – يجدهم يذكرون تلك الصفات ، ومنها ما كان متعلقاً بالذات الإلهية ومنها ما كان متعلقاً بمشيئة الله عز وجل فكان هذا هو المنهج السائد عندهم رحمهم الله حتى خاض المتكلمون في صفات الله عز وجل وأولوها وعطلوها ، وقسموها إلى أقسام ما أنزل الله بها من سلطان ، كالصفات النفسية والمعنوية وغير ذلك ، فاضطر علماء السنة لهذا التقسيم واصطلحوا عليه ، ولذا فإن المستقر عليه صنيع المتأخرين من أهل السنة والجماعة وأنهم يقسمون صفات الله – من حيث تعلقها بذات الله وأفعاله إلى قسمين كبيرين :

الأول : الصفات الذاتية وهي التي لا تنفك ولا تفارق الذات الإلهية كالعلم والقدرة.

– الثاني : الصفات الفعلية وهي المتعلقة بمشيئته وإرادته وقدرته كالكلام والنزول .. ونحو ذلك.

ونسبوهم إلى البدعة ، وبقايا بعض الاعتزال ، وشاع النزاع في ذلك بين عامة المنتسبين إلى السنة.[١]

وأبرز ما قالوا في الكلام أن لا كلام لله على الحقيقة ، فسووه بالأصنام التي لا ترجع لعابديها قولاً ، وأرادوا بذلك الرسالة ،فلعظم الخطورة في هذه القضية ، لا سيما أن البدع فيها تشعبت وكثرت ودين الإسلام يقوم على صحة الاعتقاد فيها ، رأيت لذلك ضرورة أثبات عقيدة السلف في كلم الله من خلال ذكر الادلة من الكتاب والسنة وجمع اقوال سلف الامة في كلام الله ، لذا تناولتها على التعين مفردة عن سائر صفات الله عز وجل .

هذا وقد اشتمل البحث بعد هذه المقدمة على تمهيد وثلاث مباحث وخاتمة :

التمهيد ويشمل التعريف بمعنى الكلام لغة واصطلاحاً .

المبحث الاول : مسألة خلق القران ، وتعريف الكلام.

المبحث الثاني : أدلة أهل السنة على كلام وقد سقت أدلتهم النقلية والعقلية .

المبحث الثالث : أقوال اهل السنة في كلام الله .

الخاتمة ففيها عرض مختصر ، لأهم النتائج التي توصلت إليها .

الفهارس.

وبعد فقد بذلت في هذا البحث من الجهد قدر وسعي ، ومبلغ طاقتي ، ومع هذا فأنني لم أوفي الموضوع حقه ، ولا ادعي الإصابة في كل ماقلت وقصدت ، والخطأ موجود ولكن حسبي أني قصدت الخير وسعيت للصواب .

---

(١) درء التعارض (٢٠٠١٨/٢) .

الكلام عند أهل السنة

وفيه تمهيد وثلاث مباحث

مسألة خلق القرآن :

أن القول بخلق القرآن فكرة يهودية أراد بها أصحابها الطعن في ذات الله وأسمائه وصفاته لان أول قائل بها يهودي زنديق.

وذلك لأن القرآن الكريم كلام الله ، وكلامه صفه من صفاته والله بأسمائه وصفاته وأحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وقد نزلت سورة الإخلاص جواباً لسؤال المشركين واليهود الموجه لرسول الله ﷺ بأن يصف لهم ربه .

فالقول بأن القرآن مخلوق طعن في صفاته تعالى وأنها مخلوقه ، وهذا القول كفر ومن هنا حكم العلماء على أن من أزيلت عنه الشبهة وأقيمت عليه الحجة في هذه المسألة وبقى معاند فإنه كافر .

أما إن هذا الفكرة يهودية فإليك بيانها :

يقول ابن بكر : "وفي سنة أربعين ومائتين توفي القاضي أبو عبدالله أحمد بن داود في المحرم بعد ابنه أبي الوليد بعشرين يوماً ، وكان داعية إلى القول بخلق القرآن وغيره من مذاهب المعتزلة ، وأخذ ذلك عن بشر المريسي وأخذه بشر من الجهم بن صفوان ، وأخذه جهم

من الجعد بن درهم ، وأخذه الجعد من أبان بن سمعان وأخذه أبان من طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم وختنه وكان لبيد يقول بخلق التوراة ، وأول من صنف في ذلك طالوت وكان زنديقاً فأفشى الزندقة .. أ هـ .[١]

هذا أصل فكرة القول بخلق القرآن ، وهذا منشؤها ، وهذا أهداف القائلين بها ، فالذين حملوا راية البدعة من الجهمية رئيسهم الجهم من صفوان الذي قتل عام ١٢٨هـ المعتزلة ، وقد أثروا على الخليفة العباسي المأمون ، الذي كان صاحب همه وولع بالمعرفة .

وقد أنشأ ما عرف في زمن خلافته بيت الحكمة ، وحدث باعتناقه لهذه الفكرة بلاء عظيم على الإسلام وعلماء السنة ، وقد عرفت تلك الفترة بمحنه القول بخلق القرآن ، وقد قتل فيها من قتل وحبس من حبس وجلد من جلد حتى رفع الله هذه المحنة في خلافه المتوكل وعاد الأمر إلى أهل السنة وأشهر القول ببدعة القول بخلق القرآن وأعلن مذهب أهل السنة في القرآن وإنه كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود .

---

(١) الكامل لابن الأثير (٧٥/٧) (أو ٢٩٤/٥) .

التكلم والتكليم:

فالسلف يعتقدون أن الله متكلم كلام حقيقي لا مجازي دل على ذلك ،

قوله تعالى ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء : ١٦٤]

وهو كلام لائق بجلال الله وعظمته ، ليس ككلام البشر يقول الطحاوي في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة حيث قال : " ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر ".(١)

سماع كلام الله تعالى :

يسمع الله كلامه من شاء من ملائكته ورسله ويسمعه عباده في الدار الآخر ، كما أنه كلم موسى وناداه حين آتى الشجرة فسمعه موسى قال تعالى (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة القصص: ٣٠]

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ ﴾ [طه : ١١ ، ١٢]

وقال تعالى ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء : ١٦٤] .

وهذا ما يعتقده السلف رحمهم الله دل على ذلك قوله وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى كما قال تعالى ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٤) .

وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النســـاء : ١٦٤] وقد كان الله تعالى قد كلما ولم يكن كلم موسى عليه السلام.[١]

القرآن كلام الله على الحقيقة :

القرآن سوره وآياته وكلماته ، كلام الله تكلم به بحروفه ومعانيه ولم ينزله على أحد قبل محمد ﷺ اسمعه جبريل عليه السلام واسمعه جبريل محمد ﷺ أمته ، وليس لجبريل ولا محمد ﷺ إلا التبليغ والأداء ، وهو مكتوب في اللوح المحفوظ وهو الذي في المصاحف يتلوه التالون بألسنتهم ، ويقرؤه المقرئون بأصواتهم ، ويسمعه السامعون بأذانهم ، وهو الذي في صدور الحفاظ بحروفه ومعانيه ، تكلم الله به على الحقيقة فهو كلامه على الحقيقة لا كلامه غيره ، منه بدأ وإليه يعود. [٢]

وقرر هذا الطحاوي في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة " ..... وأن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفه قولاً وانزله على رسوله وحياً وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة".[٣]

وقولهم : منه بدأ رد علي المعتزلة وغيرهم الذين زعموا أن القرآن لم يبدأ منه بل من بعض مخلوقاته فالله هو الذي تكلم به ومنه سبحانه تعالى قال تعالى ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة الجاثية :٢] .

وأما قوله إليه يعود أي يرفع من الصدور والمصاحف فلا يبقى في الصدور منه آية.[١]ولا في المصاحف قال ابن ماجه : (باب ذهاب القرآن

([٢]) الفقه الأكبر : (ص ٣٠٣) .

([١]) انظر عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص : ٧٧، ٧٨) ، و العقيدة السلفية لكلام رب البرية (ص: ٦٤) ، و مجموعه الرسائل والمسائل (٣/٣٤٩ ، ٣٥٠)

([٢]) العقيدة الطحاوية (١/ ٢٤)

والعلم ثم ذكر فيه حديث حذيفة بن اليمان وفيه قال : قال رسول الله ﷺ (يُدرس الإسلام كما يدرس وشيء الثوب حتى ما يُدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسلك ولا صدقه ويسرى على كتاب الله عز وجل في ليله فلا يبقى في الأرض منه آية ....).[٢]

([٣]) شرح العقيدة الطحاوية : (١/ ١٥٢ ، ١٥٣)

([٤]) أخرجه ابن ماجه كتاب الفتن باب ذهاب القرآن والعلم (١٣٤٤/٢)ح ٤٠٤٩ والحاكم في المستدرك (٤٧٣/٤) قال الحاكم حديث صحيح في شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي في التلخيص وقال البوصيري في مصباح الزجاج (٣٠٧/٢) إسناده صحيح ورجاله ثقات .

المبحث الأول : تعريف الكلام.

تعريف الكلام

الكلام في اللغة التي نزل فيها القرآن كما قال ابن فارس رحمه الله " (كلم) : الكاف واللام والميم أصلان : أحدهما يدل على نطق مفهم والأخر على جراح وهو الذي يعني ما هذا الموضع .

فالأول وهو الذي يعنينا في هذا الموضع ، الكلام : لقوله كلمته أكلمه تكلماً ، وهو كليمي إذا كلمك أو كلمته ". [1]

فقوله: نطق للدلالة على أنه لفظ.

وقوله : ففهم للدلالة على كونه معنى .

فهو إذا لفظ ومعنى

والكلام هو القول ، قال الزمخشري :

الكلام : القول : أو ما كان مكتفياً بنفسه من القول ويقع على القليل والكثير.[2]

فكل عاقل متصور مدرك أن كل ما نطق به من الألفاظ المفيدة للمعاني فهو كلام أو قول .

فحين يخبر مخبر فيقول (تكلم زيد بكذا) أو قال (قال زيد كذا) فيتصور السامع أن زيد تلفظ بألفاظ دلت على المعنى ولا يفهم السامع أن زيد اضمر في نفسه معنى مجرداً ، وأيضاً لا يفهم منه أن زيداً هذا تكلم كلاما لا يفهم ، وهذى هذياناً ليس له معنى ، وسماه المخبر كلاماً

([1]) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس ت: عبدا لسلام هارون (٥/١٣١)

([2]) القاموس المحيط للزمخشري ترتيب الطاهر أحمد الزاوي (٤/٧٧) وانظر معجم متن اللغة (٩٨ / ٥) وانظر لسان العرب لابن منظور (٥٢٣/١٢) .

إنما يفهم تلكم بكلام ، وقال بقول ، مؤلف من الحروف التي هي الألفاظ المشتملة على المعاني .

ولا يعقل بحال كلام مجرد عن المعنى ، أو مجرد عن اللفظ إلا بقرينه تقيد بأحد الحالتين .

فبان بهذا أن الكلام ، والقول إنما يطلقان على ما كان لفظاً ومعنى ، لا لفظاً مجرداً ، ولا معنى مجرداً .

والكلام حقيقة : الأصوات والحروف ، أن سمي به المعنى النفسي ، وهو نسبة بين مفردين قائمة بالمتكلم فمجاز. (١)

(١) العين والأثر في عقائد أهل الأثر (ص ٦٥) .

المبحث الثاني : الأدلة على إثبات صفة الكلام

من الكتاب والسنة

القرآن كلام الله صفة من صفات ذاته ، ولا يجوز أن يكون شيء من صفات ذاته مخلوقاً ولا محدثاً ولا حادثاً ، قال الله جل شأنه قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النحل : ٤٠] . فلو كان القرآن مخلوقاً لكان الله سبحانه قائلاً له كن ، والقرآن قوله ، ويستحيل أن يكون قوله مقولاً له . لأن هذا يوجب قولاً ثانياً ، والقول في القول الثاني ، وفي تعلقه بقول ثالث كالأول ، وهذا يفضي إلى ما لا نهاية له ، وهو فاسد ، وإذا فسد ذلك ، فسد أن يكون القرآن مخلوقاً ، ووجب أن يكون القول أمراً أزلياً متعلقاً بالمكون فيما لا يزال .

وقال ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤] ففرق بين خلقه وأمره بالواو الذي هو حرف الفصل بين الشيئين المتغيرين ، فدل على أن قوله غير خلقه ، وقال ﴿ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الروم: ٤] يعني من قبل أن يخلق الخلق ومن بعد ذلك وهذا يوجب أن الأمر غير مخلوق وقال : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [الصافات: ١٧١] وقال :﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٨] والسبق على الإطلاق يقتضي سبق كل شيء سواه ، وقال : (﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [

النساء: ١٦٤] ، ولا يجوز أن يكون كلام المتكلم قائماً بغيره ، ثم يكون هو به متكلماً مكلماً دون ذلك الغير .

فهذا لا يحتمل تأويلاً غير نفس الكلام ، وقال لموسى : ﴿ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [الأعراف : ١٤٤] وقال : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [البقرة : ٧٥] وقال ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾) [الفتح : ١٥] وقال : ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس : ٦٤] وقال : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام : ١١٥] وقال : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البقرة : ٣٧] . وقال: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النحل : ٤٠] وقال ﴿ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس : ٥٨] وقال لقوم موسى حين اتخذا العجل ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾ [طـه : ٨٩] و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الأعراف : ١٤٨] .

ومما يزيد دعواكم تكذيباً واستحالة ، ويزيد المؤمنين بكلام الله إيماناً وتصديقاً ، أن الله عز وجل قد ميز بين من كلم من رسله [في الدنيا] وبين من لم يكلم ، ويكلم من خلقه في الآخرة ، [ومن] لم يكلم ، فقال ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] فميز بين من اختصه بكلامه وبين من لم يكلمه ، ثم سمي ممن كلم موسى فقال : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء : ١٦٤] فلو لم يكلمه بنفسه إلا على تأويل ما ادعيتم ، فما فضل ما ذكر الله من تكليمه إياه على غيره ممن لم يكلمه ؟ إذ كل الرسل في تكليم الله إياهم مثل موسى ، وكل عندكم لم يسمع كلام الله فهذا محال من الحجج ، فضلاً [عن] أن يكون رداً لكلام الله وتكذيباً لكتابه ، ولم يقل :(مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ إلا وأن حالتيهما مختلتان في تكليم الله إياهم . فمما يزيد ذلك تحقيقاً قوله :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ آل عمران : ٧٧] يعنى يوم القيامة ففي هذا بيان بين أنه لا يعاقب قوماً يوم القيامة بصرف كلامه عنهم ، إلا وأنه مثيب بتكليمه قوماً آخرين وقال ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا

﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ٥١﴾ [الشورى: ٥١] فلو كان كلام الله لا يوجد إلا مخلوقاً في شيء مخلوق لم يكن لا اشتراط هذه الوجوه معنى لاستقراء جميع الخلق في سماعه من غير الله .

فمن زعم أن القرآن مخلوق ، فقد جعله قولاً للبشر ، وهذا مما أنكره الله على المشركين ، ولأن الله تعالى قال : : ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ١٠٩﴾ [الكهـــف : ١٠٩] وقال:﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٧﴾ [لقمـــان :٢٧] وصـــدق وبلـــغ رسول الله ﷺ لو جمع مياه بحر السموات

والأرض وعيونها وقطعت أشجارها أقلاماً ، و كانت البحار مداداً يكتب به لنفدت البحار وتكسرت الأقلام ، ولم يلحق الفناء كلمات الله عز وجل ، كما لا يلحق الفناء علم الله لأن من نفى كلام لحقته الآفات وجرى عليه السكوت ، فلما لم يجري ذلك على ربنا عز وجل صح أنه لم يزل متكلماً ولا يزال متكلماً ، وقد نفي النفاد عن كلامه كما نفى الهلاك عن وجهه ، وأما قول الله عز وجل ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ٤٠﴾ [الحاقة: ٤٠] معناه قول تلقاه عن رسول كريم أو سمعه من رسول كريم أو نزل به رسـول كـريم ، فقـد قـال : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ٦ ﴾ [التوبة: ٦] فأثبت أن القرآن كلام الله عز وجل ، ولا يكون شيء واحد كلاماً للرسول ﷺ وكلاماً لله ، دل أن المراد بالأول ما قلنا:﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٣ ﴾ [الزخرف: ٣]

معناه سميناه قرآناً عربياً وأنزلناه مع الملك الذي أسمعناه إياه حتى نزل به بلسان العرب ليعقلوا معناه ، وهو كما قال الله عز وجل ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النحل: ٦٢]. يعني يصفون لله ما يكرهون ولم يرد به الخلق ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢] يحتمل أن يكون معناه ذكر غير القرآن وكلام الرسولﷺ ووعظه إياهم بقوله ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الداريات: ٥٥] **ولأنه لم يقل : لا يأتيهم ذكر إلا كان محدثاً وإنما قال :** (مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿١﴾ **فدل أن ذكراً غير محدث ، ثم إنه إنما أراد ذكر القرآن لهم وتلاوته عليهم وعلمهم به ، وكل ذلك محدث والمذكور المتلو المعلوم غير محدث ، كما أن ذكر العبدلله وعلمه به وعبادته له محدث ، والمذكور المعلوم المعبود غير محدث، ففيما ذكرنا من ذلك بيان بين لمن آمن بكتاب الله وصدق بما انزل الله .**

الأدلة من السنة :

" حديث احتجاج أدم موسى قال أبو هريرة : قال رسول ﷺ : " احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى عليه السلام ، فقال موسى أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض ، قال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك الله نجياً فبكم وجدت التوراة قبل أن أخلق ، قال موسى بأربعين عام قال آدم: فهل وجدت فيها (وعصى آدم ربه فغوى) قال نعم ، قال :

فتلومنني أن أعمل عملاً كتب الله علىٰ عمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة قال رسول الله ﷺ " فحج آدم وموسىٰ " .(١)

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن الله تبارك وتعالىٰ يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة : فيقولون : لبيك ربنا وسعديك . فيقول : هل رضيتم ؟ ... " .(٢)

حديث قصة الأفك وقول عائشة رضي الله عنها : " .... ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلىٰ ." "(٣)

حديث ابن عباس رضي الله عنه : " بينما جبريل قاعد عن النبي ﷺ ... قال :أبشر بنورين وأتيتهن لم يؤتهما نبي قبلك :فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة ، لن تقرآ بحرف منهما إلا أعطيته "."(٤)

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً " يقول الله يا آدم ! فيقول : لبيك وسعديك ، فينادي بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثنا إلىٰ للنار " (٥)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن رسول ﷺ : قال تكفل الله عز وجل لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من به إلا الجهاد في سبيل الله ، وتصديق كلماته أن يدخله الجنة ، أو يرجعه إلىٰ مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة". (٦)

---

(١) فتح الباري (١١/ ٥٠٨) ،رواه البخاري (٦٦١٤) ، ومسلم (٢٦٥٢) .

(٢)) رواه البخاري (٧٥١٨) ، ومسلم (٢٨٢٩) .

(٣) رواه البخاري (٤١٤١) ، ومسلم (٢٧٧٠) .

(٤) رواه مسلم (٨٠٦) وغيره .

(٥) رواه البخاري (٧٤٨٣)

(١) أخرجه البخاري (٦/٢٢٠) من طريق مالك ومسلم (١٨٧٦) عروة بن المغيرة

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله .(١)

وقال النبي في حجه " فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى .(٢)

عن علي رضي الله عنه ، عن الرسول ﷺ أنه كان يقول عند مضجعه : " اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم وكلماتك التامة من شر ما أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت تكشف المغرم والمأثم ، اللهم لا يهزم جندك ولا يخلف وعدم ولا ينفع ذا الجد منك الجد سبحانك وبحمدك " .

وكان يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما : " أعيذكم بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامه ومن كل يمن لامه "ثم يقول ﷺ " كان أبوكم يعوذ بها إسماعيل وإسحاق عليهما السلام " لفظ حديث جرير وفي حديث شيبان " كان أبوكم إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، الباقي سواء نفسه (٣) فاستعاذ رسول الله ﷺ في هذا الخبر وغيره بكلمات الله كما استعاذ بوجهه الكريم ، فكما أن وجهه الذي استعاذ به غير مخلوق ، فكذلك كلماته التي استعاذ به غير مخلوقه .

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما : كان رسول الله ﷺ يعرض تفسير على الناس بالموقف ، فقال : " ألا رجل يحملني إلى قومه فإن قريش قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل ، لفظ حديث أبي داود ، وفي رواية الدوري قال لما أمر النبيﷺ أن يبلغ الرسالة جعل يقول : " يا قوم لم تؤذونني أن أبلغ كلام ربي " يعني القرآن.(٤)

---

(٢) أخرجه البخاري (٢٢/٦) من طريق سفيان الثوري ، عن الأعمش ومسلم (١٩٠٤) عن أبي بكر بن أبي شيبه وغيره عن أبي معاوية .

(٣) رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبه وغيره عن حاتم .

(٤) أخرجه البخاري (٤٠٨/٦)

(٥) أخرجه أبو داود (٢٧٣٤) والترمذي (٢٩٢٥) وابن ماجه (٢٠١ ، وأحمد (١٩٠/١) والبخاري في خلق أفعال العباد (٨٦، ٢٠٥ والحاكم في المستدرك (٦١٢/٢، ٦١٣)

عن جابر بن عبدالله قال لما أمر النبي ﷺ أن يبلغ الرسالة جعل يقول " يا قوم لم تؤذونني أن أبلغ كلام ربي " يعني القرآن .

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " خياركم من تعلم القرآن وعلمه " ، قال أبو عبدالرحمن فذاك الذي أجلسني هذا المجلس ، وكان يقرئ القرآن قال : وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرب على خلقه وذلك بأنه منه أي من صفاته .

وعن أبي سعيد الخدري : قال رسول الله ﷺ :يقول الله عز وجل : " من شغله قراءة القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه " .

المبحث الثالث : أقوال السلف.

وقال عبدالله ابن الإمام رحمهما الله : (سألت أبي رحمه الله عن قوم يقولون :لما كلم الله عز وجل موسى ؛ لم يتكلم بصوت ، فقال أبي : بلي ؛ إن ربك عز وجل تكلم بصوت ،هذه الأحاديث نرويها كما جاءت)".[١]

وقال ابن أبي عاصم[٢] في باب : ذكر الكلام والصوت والشخص وغير ذلك " .

وقال أبو الحسن الأشعري"[٣]

" واجمعوا على إثبات حياة الله عز وجل ، لم يزل بها حياة .. وكلاماً لم يزل به متكلماً .. " أ هـ .

وقال قوام السنة الأصبهاني: " وخاطر أبو بكر رضي الله عنه (أي : راهن قوماً من أهل مكة) ، فقرأ عليهم القرآن ، فقالوا : هذا من كلام صاحبك فقال : ليس بكلامي ولا كلام صاحبي ، ولكنه كلام الله تعالى ، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة. [٤]

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عن على المنبر " : " إن هذا القرآن كلام الله " .

فهو إجماع الصحابة وإجماع التابعين بعدهم ، مثل : سعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، والشعبي ، وغيرهم ممن يطول ذكرهم ، أشاروا إلى أن كلام الله هو المتلو في المحاريب والمصاحف .

وذكر : صالح بن أحمد بن حنبل ، وحنبل ؛ أن أحمد رحمه الله ؛ قال " جبريل سمعه من الله تعالى ، والنبي ﷺ سمعه من جبريل ،والصحابة سمعته من النبيﷺ ".

وفي قول أبي بكر رضي الله عنه : " ليس بكلامي ، ولا كلام صاحبي ، إنما هو كلام الله تعالى " إثبات الحرف والصوت ؛ لأنه إنما تلا عليهم القرآن بالحرف والصوت " أ هـ .

---

(١) مسند عبدالله بن أحمد (٣٠٢/١)

(٢) في السنة (٢٢٥/١)

(٣) في " رسالة إلى أهل الثغر " (ص ٢١٤)

(٤) الحجة " ٣٣١/١، ٣٣٢)

وبوب رحمه الله في ": فصل في إثبات النداء صفة لله عز وجل " "[(١)]، ثم سرد جملة من الآيات والأحاديث .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية " واستفاضت الآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة السنة ؛ أنه سبحانه ينادي بصوت ؛ نادي موسى ، وينادي عباده يوم القيامة بصوت ، ويتكلم بالوحي بصوت ، ولم ينقل عن أحد من السلف أنه قال : إن الله يتكلم بلا صوت أو بلا حرف ، ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوت أو بحرف". [(٢)]

قال الأمام البخاري " في خلق أفعال العباد "وإن الله عز وجل ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، فليس هذا لغير الله جل ذكره ، وفي هذا (يعني : حديث عبدالله بن أنيس ذكره بعد كلامه هذا) ، دليل إن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق ، لأن صوت الله جل ذكر يسمع من بعد كما يسمع من قرب وأن الملائكة يصعقون من صوته، فإذا تنادى الملائكة، لم يصعقوا ".

وقال الإمام أحمد " وقد روى عن غير واحد ممن مضى من سلفنا أنهم كانوا يقولون : القرآن كلام الله ليس مخلوق " وهو الذي أذهب إليه ولست بصاحب كلام ، ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان من كتاب الله ، أو في حديث عن النبي ﷺ منه غير محمود .[(٣)]

---

(١) الحجة في بيان المحجة للاصبهاني " (٢٦٩/١)

(٢) في مجموع الفتاوى " (٣٠٤/١٢) ،وانظر أيضاً: (الفتاوى) (٥١٣/٦ –٥٤٥)

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٣٩،٣٢٢/٣) ، وأبو داود في السنة (٤٧٣٤) الدرامي في سننه (٥٣٢/٢) ، و البخاري في خلق أفعال العباد (٨٦ و ٢٠٥)، والحاكم في المستدرك (٦١٢/٢) .

وكان وكيع بن الجراح يقول :من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن شيئاً من الله مخلوق فقلت يا أبا سفيان من أين قلت هذا ؟ لأن الله تبارك وتعالى يقول ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [السجدة : ١٣] ولا يكون من الله شيء مخلوق .[١]

وكذلك فسره أحمد بن حنبل ونعيم بن حماد والحسن الصباح البزار وعبد العزيز بن يحي المكي الكناني .

عن عروة بن نوفل الأشجعي قال : كنت جاراً لخباب بن الأرت ، فخرجنا مرة من المسجد فأخذ بيدي فقال : يا هناد تقرب إلى الله بما استطعت ، وإنك لن تقرب عليه بشيء أحب إليه من كلامه .

وعن عكرمة قال : صلى ابن عباس رضي الله عنه على جنازة ، فقال رجل من القوم : اللهم رب القرآن العظيم اغفر له فقال ابن عباس ثكلتك أمك إن القرآن منه إن القرآن منه يعنى من صفاته .[٢]

عن نيار بن مكرم أن أبا بكر رضي الله عنه قرأ عليهم قوله عز وجل : (ألم غلبت الروم) فقال : كلامك هذا أم كلام صاحبك ؟ قال ليس بكلامي ولا كلام صاحبي ، ولكن كلام الله عز وجل .

عن عامر بن شهر قال :كنت عند النجاشي فقرأ ابن له آية من الإنجيل ، فضحك ، فقال أتضحك من كلام الله عز وجل ؟

---

(٤) رسائل إمام أهل السنة إلى الخليفة المتوكل (٦٠-٦١) .

[٢] شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢٥٧/١) .

قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه : لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا ، وإني لأكره أن يأتي على يوم لا أنظر في المصحف .

سألت أبا يوسف فقال : أكان أبو حنيفة يقول :القرآن مخلوق فقال : معاذ الله ، ولا أنا أقوله .(١)

عن سفيان عيينة ، قال : أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة ، منهم عمرو في ابن دينار قول : إن القرآن كلام الله ليس بمخلوق .

قال ابن بطه " أن يعلم بغير شك ولا مريه ولا وقوف أن القرآن كلام الله : ووحيه وتنزيله ، منه معان توحيده ومعرفة آياته وصفاته وأسمائه وهو علم من علمه بغير مخلوق ، وكيف قرى وكيف كتب ، وحيث تلي وفي أي موضع كان في السماء وجد ، أو في الأرض حفظ ، في اللوح المحفوظ وفي المصاحف وفي الألواح الصبيان مرسوم ، أو في حجر منقوشاً و على كل الحالات وفي كل الجهات – فهو كلام الله غير مخلوق .

ومن قال : مخلوق ، أو قال : كلام الله ووقف أو شك أو قال بلسانه وأضمره في نفسه فهو بالله كفر ، حلال الدم برئ من الله ، والله برئ منه .

ومن شك في كفره ووقف عن تكفير فهو كافر لقوله تعالى ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [البروج : ٢١] .

---

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢٥٦/١)

وقـــال ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التوبة : ٦]

وقول ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ ﴾

[الطلاق : ٥]

فمن زعم أن حرفاً واحد منه مخلوق فقد كفر لا محالة ، فالآي في ذلك من القرآن والحجة عن المصطفى أكثر من أن تحصى وأظهر من أن تخفى .[١]

وعن عمر بن دينار قال :أدركت تسعة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : من قال أن القرآن مخلوق فهو كافر .[٢]

وقال : سمعت مشايخنا منذ سبعين سنة يقولون، القرآن كلام الله غير مخلوق.[٣]

قال عبدالله بن المبارك : سمعت الناس منذ تسعة وأربعين عاماً يقولون : من قال القرآن مخلوق فآمراته طالقاً فيه قلت ، ولم ذلك ؟ قال : لأن امرأته مسلمه ، والمسلمة لا تكون تحت كافر. [٤]

" من أنكر كون الباري منكما فيا لضرورة ينكر تصور الرسول إذ معنى الرسول المبلغ الرسول المرسل . فإن لم يكن الكلام متصوراً في حق

---

(١) الإبانة (ص ١١١ ، ١١٣) وانظر شرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطه (ص ٣٧ ، ٣٨) .

(٢) خرج أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢٥٣/١) .

(٣) المصدر السابق (٢٦١/١) .

(٤) المصدر السابق (٢٧٠/١) .

أدعي أنه مرسل كيف بتصور الرسول ، ومن قال أن رسول الأرض أو رسول الجبل إليكم فلا يصغي إليه لاعتقادنا استحالة الكلام والرسالة من الجبل والأرض ولله المثل الأعلى ولكنه من يعتقد استحالة الكلام في حق الله تعالى استحال منه أن يصدق الرسول إذا المكذب بالكلام لابد أن يكذب بتبليغ الكلام و الرسالة عبارة عن تبلغ الكلام والرسول عبارة عن المبلغ .[١]

[١] الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص١١١) .

الخاتمة

الحمد لله وبعد.. فهذا ما يسر الله لي كتابته، ولي في آخره دعوة ورجاء ودعاء..

أما الدعوة: إلى أتباع كل مذهب أن يحققوا مذهبهم العقدي ويتحروا فيه، وأن لا يجدوا في أنفسهم حرجاً، فإذا استبان لهم الصواب فعليهم إتباعه، وليس في ذلك غضاضة بل الغضاضة أن يدرك الإنسان الحق فيعرض عنه.

أما الرجاء، فأوجهه إلى كل من وجد في بحثي نقصاً أن لا يكتمه، وأن يكتب لي ما يراه صواباً. فالمسلم مرآه أخيه المسلم، والنصيحة واجبة بين المؤمنين إذا رأوا ما يوجب ذلك. ولهم من الله الأجر والثواب.

أما الدعاء: فإن يجعل الله عملي خالصاً لوجهه وأن ينفع به كاتبه وقارئه ومن بلغه وسائر المسلمين إنه سميع مجيب.

وبهذا البحث تم بحمد الله وتوفيقه ما عزمت عليه من بيان حقيقة كلام الله وإيضاح المنهج السلفي، راجية من الله أن يكون هذا العمل خالصاً لوجه الله الكريم، وافياً بالغرض من كتابته، موضحاً لما يهم، مبيناً لما أغلق يهدي به الله من شاء من عباده.

وأخيراً.. فهذا ما كتب فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان غير ذلك فمني ومن الشيطان، واستغفر الله العظيم، ومن كل ذنب إنه غفور رحيم..

د. سعاد بنت محمد السويد

المراجع

١. الإبانة الصغرى (الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة) الإمام عبدالله حمد بن بطة العكبري ٣٨٧، دار أطلس للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠١م.
٢. الإبانة في أصول الديانة للإمام أبي الحسن الأشعري، ط١، ١٩٩١، دار القادري للطباعة والنشر، بيروت.
٣. ابن ماجه تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، طبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٣هـ.
٤. أصول السنة لابن أبي زمنين.
٥. الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة، للإمام البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٦. الاقتصاد في الاعتقاد لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، قدم له وعلق عليه وشرحه د. علي بوسليم، دار مكتبة الهلال، توفي ٥٠٥، طبعة ١، ١٩٩٣، بيروت.
٧. البخاري، فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب.
٨. تحفة الأحوذي لشرح جامع الترمذي للمباركفوري، مطبعة الفيحاء الجديدة، ... عبد الرحمن العثمان، مطبعة المدني، ط٢، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
٩. التسعينة لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن غيه تحقيق محمد العجلان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٠. جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، دار الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٤هـ.

١١. رسالة في أن القرآن غير مخلوق للإمام الحافظ إبراهيم بن إسحاق الحربي، ويليه رسالة إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل إلى الخليفة المتوسل في مسألة القرآن، تحقيق: علي الشبل، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض.

١٢. السنة لابن أبي عاصم، تحقيق باسم الجوابرة، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

١٣. شرح العقيدة الطحاوية، لأبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، الشرح ليوسف الملطي، ط٣، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.

١٤. شرح العقيدة الطحاوية، لعلي بن أبي العز الدمشقي، تحقيق: عبدالله التركي وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٣هـ.

١٥. شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن صالح العثيمين اعتنى به سعد بن فواز العميل، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ١٤١٥هـ.

١٦. شرح الفلسفة في العقيدة الإسلامية، د. عبدالملك عبد الرحمن السعدي، حقوق الطبع، بغداد، مكتبة الأنبار، ط١، ١٩٨٨م.

١٧. الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة للإمام الحنبلي أبي عبدالله بن عبدالله بن بطة العكبري، دار ابن حزم، ط١، ١٤٣٠هـ (٢٠١٠م).

١٨. الشريعة للأجري، تحقيق عبدالله الدميجي، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.

١٩. شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق محمد السعيد البسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

٢٠. صحيح مسلم لشرح النووي، ط٢، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، الناشر إحياء التراث العربي، بيروت.

٢١. الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم لابن قدامة، تحقيق محمد الخميس، مكتبة الفرقان، عجمان، الإمارات، ط١، ١٤١٩هـ.

٢٢. عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني، تحقيق ناصر الجديع، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٣. العلم الشامخ في تفضيل الحق على الإباء والمشائخ، صالح بن سيد المقبلي اليماني، ط١، مصر ١٣٢٨هـ.

٢٤. العين والأثر في عقائد أهل الأثر للإمام عبدالباقي الحنبلي ت ١٠٧١هـ، تحقيق عصام رواسي قلعجي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١ (١٤٠٧هـ).

٢٥. كتاب أصول الدين، تأليف الإمام أبي منصور عبدالقاهر بن طاهر التميمي البغدادي، المتوفى ٤٢٩، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة ثالثة، ١٩٨١م.

٢٦. كتاب تمهيد الدلائل وتلخيص الدلائل تأليف القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب النفانية، ط١، ١٩٨٧.

٢٧. كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين تأليف الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفى ٣٢٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، عني بتصحيحه هلموت ريتر، طبعة٣.

٢٨. المستدرك للحاكم النيسبوري، الناشر مكتبة ومطبعة النصر الحديثة بالرياض.
٢٩. مسند أحمد تحقيق أحمد محمد شاكر، طبعة دار المعارف، مصر ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م.
٣٠. مسند سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان السجستاني، المكتبة العصرية، بيروت، ترقيم محي الدين عبد الحميد.
٣١. منهاج السنة النبوي في نقض كلام الشيعة القدرية لابن تيميه، مكتبة العصرية، القاهرة، مطبعة المديني ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.
٣٢. موسوعة الأسماء والصفات للأئمة الأعلام البيهقي، ابن تيمية، ابن القيم، ابن عتبة، إعداد عادل بن سعد، عمرو محروس، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط١، ٢٠٠٦م.